معالم القرآن والسنة
مجلة محكمة
السنة الخامسة، العدد السادس، ٢٠١٠

راجح عبد الحميد سعيد "كردي بني فضل"

موافقة المعجزة الخالدة للنبوة الخاتمة
-دراسة عقدية-

Abstract

Prophets of Allah were endowed with miracles as signs of their truthfulness. The prophets before Muhammad SAW were sent particularly to their peoples, and the miracles given to them were also temporal and physical in nature. On the contrary, the message of Muhammad SAW is eternal and universal for all mankind. As such, the miracle given to him in the form of the Quran is also eternal and suitable for all until the end of time. In this paper, discussion is focused on the Quran as the eternal miracle of Islam and important issues relating to it. In addition, definition and relation between miracle and prophethood is also analyzed. It is proposed that the Quran is the only everlasting miracle of Muhammad SAW despite other physical miracles performed by him during his lifetime.

المقدمة

لا بد لكل نبي من معجزة تصدق نبوته. وإذا ما نظرنا في معجزات الأنبياء والرسل عليهم السلام وجدناها بين نوعين من المعجزات؛ أولهما معجزات حسية لا تتجاوز زمان النبوة، ولا تقوم دليلاً إلا على من شاهدها وعاصرها، وبالاستقراء التاريخي، وللأدلة الشرعية من الكتاب والسنة نجد أن جميع الأنبياء والرسل السابقين لمحمد صلى

الله عليه وسلم كانت معجزاتهم الرئيسة من هذا النوع من المعجزات. وثانيهما : معجزة القرآن الكريم الذي جمع الله فيه بين كونه وحيه وكلامه والمعجزة الرئيسة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم دالاً على صدقه، ومتحدياً للإنس والجن كافة، سواء منهم من كان في عصر الرسالة أو بعدها إلى قيام الساعة، وسواء من شاهد منهم محمداً صلى الله عليه وسلم ومن لم يشاهده. فما السر في هذا التنويع؟ هذه هي إشكالية البحث التي تجيب عليها الأسئلة التالية :

١ – ما مفهوم المعجزة؟

٢ – ما العلاقة بين أنواع المعجزة وطبيعة رسالة نبيها؟

٣ – لماذا تصلح المعجزات الحسية للرسالات الخاصة؟

٤ – ما وجه كون القرآن معجزة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الخالدة؟

٥ – لماذا يرفض الله تعالى منطق المشركين في طلب المعجزات الحسية معجزة رئيسة لتصديق نبيه محمد صلى الله عليه وسلم؟

٦ – هل ثمة علاقة بين كون القرآن معجزة الرسالة الخالدة مع ما يقال بالرشد البشري؟

ولهذه الدراسة أهمية في دراسة منطق المعجزة والرسالة في الدراسات العقدية، وتأصيلها القرآني.

ولقد نهج الباحث منهج البحث التحليلي والاستدلالي في مناقشة قضايا هذا البحث، وجمع الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة واستقرأ منطقها وقواعدها في إنضاج القضية، للإجابة على إشكاليتها مع التحليل والتعليل، مستعرضاً آراء العلماء ومناقشتها تأييداً أو رفضاً، موافقة أو مخالفة.

ولتحقيق الإجابة على هذه الإشكالية، وإثبات فرضية البحث القائلة بالتوافق بين المعجزة الخالدة والنبوة الخاتمة – دراسة عقدية – يرى الباحث تنظيم هذه الدراسة في خطة تتكون من مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة على النحو الآتي :

المقدمة : وفيها مشكلة الدراسة وأهميتها ومنهج الباحث وخطة البحث.

المبحث الأول : مفهوم المعجزة ونوعها.

المطلب الأول : مفهوم المعجزة ودلالتها على صدق النبي.

المطلب الثاني : العلاقة بين طبيعة الرسالة ونوع المعجزة.

المبحث الثاني : القرآن معجزة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

المطلب الأول : تعريف القرآن الكريم.

المطلب الثاني : وجه اختصاص نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن وحده معجزة.

المبحث الثالث : منطق الرسالة الخالدة يرفض منطق الكفار في طلب المعجزات الحسية.

المبحث الرابع : المعجزة وقضية الرشد البشري.

الخاتمة : وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

سائلاً الله تعالى التوفيق وأجر خدمة دينه والانتفاع بالدراسات العقدية.

المبحث الأول

مفهوم المعجزة ونوعها

المطلب الأول : مفهوم المعجزة ودلالتها على صدق النبي :

لكل نبوة معجزة أو معجزات رئيسة يجريها الله على يد النبي دليلاً على صدق انفراد حاله عن المدعوين، بأن الله اصطفاه ليكون نبيه الذي يوحي إليه.

وقد دقق علماء التوحيد في تعريف المعجزة فنقل المكلاتي تعريفاً لها عند الإمام الأشعري (ت٣٢٤هـ) بأنها : "فعل الله يقصد به التصديق، أو قائم مقام الفعل يتجه فيه التصديق" [١].

وعرفها البغدادي (ت٤٢٩هـ) بأنها : "ظهور أمر خلاف العادة لإظهار صدق ذي نبوة من الأنبياء، مع نكول من يُتحدى به عن معارضة مثله" [٢].

وعرفها الإيجي (ت٧٥٦هـ) بأنها : "ما قصد به إظهار صدق من ادعى أنه رسول الله" [٣].

ولأهمية دلالتها على صدق النبي، بصفتها المعجزة الرئيسة المتحدى بها اشترط لها العلماء شروطاً سبعة وهي:أن تكون فعلاً لله تعالى أو ما يقوم مقام الفعل، وأن تكون خارقة للعادة، وأن تتعذر معارضتها،وأن تظهر على يد مدعي النبوة، وأن تكون موافقة للدعوى، وأن لا تكون مكذبة له في دعواه، وأن لا تكون متقدمة على الدعوى بل مقارنة لها [٤].

ووجه دلالتها على صدق النبي: أن المعجزة الحسية تخاطب العقول؟ وبالتالي فترجمتها في النهاية أنها دليل عقلي مفاده : كأن الله تعالى يقول لهم صَدّقوا عبدي فيما يقول، فلو كان يكذب عليّ لما صدقته، إذ أنني لا أكذب، أو يستحيل عليّ الكذب. أو

---

١ - المكلاتي، لباب العقول،دار الأنصار، القاهرة، ١٩٧٧م (ط١)، ص٣٥١.

٢ - البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي، (ت٤٢٩هـ)، كتاب أصول الدين، (ط١)، طبعة مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية، استانبول، ١٣٤٦هـ=١٩٢٨م، ص١٧٠.

٣ - انظر الإيجي، عضد الملة والدين عبد الرحمن بن أحمد (ت٧٥٦)، المواقف، شرح السيد الجرجاني، طبعة القسطنطينية، تركيا، ١٤٨٦هـ، (د.ط)، ص٥٤٧. وانظر، الآمدي، سيف الدين، (٥٥١-٦٣٦هـ)، غاية المرام في علم الكلام، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف (د.ط)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٩١هـ=١٩٧١، ص٣٣٣.

٤ - انظر الإيجي، المرجع السابق ص٥٤٧-٥٤٨، الجويني، إمام الحرمين، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد، (٤١٩-٤٧٨هـ) لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، تحقيق فوقية حسين محمود، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٦٥م، (ط١)، ص١١٠.

كما عبر الآمدي والشهرستاني والقاضي عبد الجبار، أنها "نازلة منزلة التصديق بالقول"[٥]، وقد رأى الإمام الجويني أن وجه دلالة المعجزة يقرب من إشعار قرائن الأحوال بالعلوم البديهية، وأضف إلى ذلك إمكان اعتبارها نازلة منزلة التصديق بالقول [٦]، في حين عبر الإيجي عن دلالتها بالعادية فقال : "هي إجراء الله عادته بخلق العلم بالصدق عقيبه، أي عقيب ظهور المعجز، فإن إظهار المعجزة على يد الكاذب وإن كان ممكناً عقلاً فمعلوم انتفاؤه عادة، فلا تكون دلالته عقلية لتخلف الصدق عنه في الكذب، بل تكون عادية ...وتدعى إفادته العلم الضرورة العادية" [٧]، أي يقصد ليست الدلالة العقلية المحضة كدلالة الفعل على وجود الفاعل، ودلالة إتقان الصنعة وإحكامها على علم صانعها. بينما يرى ابن خلدون أن "دلالة المعجزة على الصدق عقلية" [٨].

المطلب الثاني : العلاقة بين طبيعة الرسالة ونوع المعجزة :

وقد اختلفت الرسالات الإلهية في طبيعتها؛ إذ كانت الرسالات السابقة للإسلام خاصة، بشعوب وأقوام على مر تاريخ البشرية قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾[٩]، وكان الله تعالى يشير إلى النبي والرسول وإلى قومه الذين بعثه إليهم؛ فقال تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾[١٠]،

---

٥ – الآمدي،غاية المرام،ص٣٢٩، الشهرستاني،أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر، نهاية الإقدام في علم الكلام،نسخة مصورة عن طبعة سابقة حررها الفرد جيوم، القاهرة، (د.ت.ط)ص٤٢١، القاضي، عبد الجبار ابن أحمد،المغني في أبواب التوحيد والعدل، التنبؤات والمعجزات،تحقيق محمود الخضيري ومحمود قاسم، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٣٨٥هـ=١٩٦٥م (د.ط) ٦٣/١٥.

٦ – انظر الجويني،أبو المعالي، : اللمع، ص١١١، والإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم، طبعة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٩م، ص٣٢٤ – ٣٢٥.

٧ – الإيجي، المواقف، ص٥٥٠.

٨ – ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون،طبعة عبد السلام شقرون، القاهرة، (د.ت.ط)، ص٣٥٣.

٩ – سورة فاطر آية ٢٤.

١٠ – سورة نوح آية ١.

وقال : ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[١١]، وقال : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾[١٢]، وقال : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾[١٣]، وقال : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ۝٥ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾[١٤].

وقد جعل الله عز وجل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عالمية عامة وخاتمة خالدة وإلى الناس كافة.

أما كونها عالمية عامة فقد بين سبحانه وتعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بصريح العبارة ما يفيد هذا بقوله : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾[١٥]، وقوله تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾[١٦]، وقوله : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ﴾[١٧].

وأما كونها خاتمة وخالدة فبقوله سبحانه : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[١٨]، وقوله : ﴿ وَتَمَّتْ

---

١١ – سورة الأعراف آية ٧٣.

١٢ – سورة الأعراف آية ٨٥.

١٣ – سورة الأعراف آية ٦٥.

١٤ – سورة الصف آية ٥-٦.

١٥ – سورة الأنبياء آية ١٠٧.

١٦ – سورة الأعراف آية ١٥٨.

١٧ – سورة النساء آية ١٧٠.

١٨ – سورة الأحزاب آية ٤٠.

كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[١٩]، وقوله : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ ﴾[٢٠]

ولقد أخبر رسولنا صلى الله عليه وسلم عن ذلك بقوله : "أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى كل أحمر وأسود"[٢١]، وعند البخاري : "أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي...وبعثت إلى الناس كافة..."[٢٢]، كما أخبرنا عليه الصلاة والسلام أنه خاتم النبيين بقوله : "فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين"[٢٣]، وفي موضع آخر بلفظ : "فأنا اللبنة فختمت الأنبياء" [٢٤]، وكما في صحيح مسلم قوله : "أنا محمد، وأنا أحمد، وانا الماحي الذي يمحى بي الكفر، وانا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب، والعاقب الذي ليس بعده نبي" [٢٥].

ولهذا فقد نوع الله المعجزات الرئيسة لتلك النبوات، بسبب هذا الاختلاف في طبيعتها خصوصاً وعموماً، فجعل معجزات الأنبياء والرسل السابقين حسية، مادية،

١٩ - سورة الأنعام آية ١١٥.

٢٠ - سورة المائدة آية ٣.

٢١ - مسلم، الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (٢٠٦-٢٦١هـ)، صحيح مسلم، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦هـ=١٩٩٥م)، (ط١)، كتاب المساجد ومواضع الصلاة رقم الحديث ٣ (٥٢١).

٢٢ - البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح - صحيح البخاري -، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت.ط) كتاب التيمم ٩١/١، وكتاب اللصلاة ١١٩/١ وكتاب المساجد ٣٧٠/٣، وانظر رواية الإمام أحمد ابن حنبل الشيباني، مسند أحمد، نسخة الفتح الرباني، بترتيب مسند الأمام أحمد مع مختصر شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، لأحمد عبد الرحمن البنا، دار الشهاب، القاهرة، (د.ط). القسم الثالث من كتاب السيرة النبوية باب ما جاء في خصو صياته صلى الله عليه وسلم، رقم ٧٢٦، مجلد ٢٢ ص٣٩.

٢٣ - مسلم، صحيح مسلم، طبعة دار ابن حزم، كتاب الفضائل، باب ذكر كونه خاتم النبيين، رقم الحديث ٢٢، ١٤٢٩/٤، وأخرجه البخاري في صحيحه، دار الكتب العلمية، (ط١)، (د.ت)، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين برقم ٣٥٣٥، ص٦٣١.

٢٤ - مسلم، صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب ذكركونه آخر النبيين، رقم٢٣، ١٤٢٩/٤.

٢٥ - المرجع السابق، كتاب الفضائل، باب أسماء النبي صلى الله عليه وسلم رقم١٢٤، ١٤٥٨/٤ وانظر البخاري في صحيحه، طبعة دار الكتب العلمية، كتاب التفسير، باب تفسير سورة الصف، رقم ٤٨٩٦، ص٨٩٥.

مشاهدة، تنتهي بانتهاء زمن نبوة النبي لتبدأ نبوة نبي آخر، ويُجري الله على يد ذلك النبي معجزات حسية أخرى تناسب قوم الرسالة، وتتحداهم في أكثر ما يشتهرون به، فيتوهمون أنها من جنس ما عندهم، فيعجزون عن الإتيان بمثلها، بما يجعلهم غير قادرين على معارضتها.

ومن الأمثلة على تلك المعجزات الحسية التي كانت للأنبياء السابقين والمناسبة لرسالاتهم الخاصة والمتحدية لأقوامهم في أكثر ما يشتهرون به؛ ما كان من معجزة قلب العصا حية على يد موسى عليه السلام كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴾[٢٦]. وقد تحدى بها موسى عليه السلام فرعون وقومه فعجزوا عن الإتيان بمثلها حين جمع فرعون السحرة متوهما أنها نوع من السحر فلما عجز السحرة ثبت أنها خارقة للعادة أجراها الله على يد نبيه مصدقا دعواه النبوة، وقد ذكر القران ما جرى من التحدي لهم بعد أن اجتمع السحرة والقوا حبالهم وعصيهم، وخيل إليهم أنها تسعى ولما القي موسى عصاه المعجزة تحولت حية حقيقية وابتلعت حبال السحرة وعصيهم فثبت صدق موسى في نبوته وكان أول من استسلم للعجز واقر بمعجزة موسى السحرة أنفسهم فآمنوا مع موسى يقول الله تعالى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴾[٢٧].

---

٢٦ - سورة طه آية ١٧-٢١.

٢٧ - سورة طه آية ٦٥ -٧٠.

وكذلك كانت معجزات عيسى عليه السلام معجزات حسية من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله يقول تعالى مشيراً إلى ذلك : ﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٢٨]، وكذلك كانت معجزة صالح عليه السلام الحسية بإخراج الناقة من الصخر قال تعالى : ﴿وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ﴾[٢٩].

بينما لم يجعل معجزة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الرئيسة حسية، إذ أنها نبوة خاتمة، بل جعلها القرآن الكريم، وهو الكتاب الذي أنزله عليه وحياً ومنهجاً، فجمع الله بين المعجزة والوحي المكتوب، أو "بين الحجة والمحتج له، والدليل والمدلول عليه ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعا إليه" [٣٠]. وقد يصف بعضهم هذه المعجزة بأنها عقلية علمية [٣١].

لأنها قائمة على قواعد العلم والعقل في مقابل وصفها بحسية أو معنوية [٣٢].

ولقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى وجه الاختصاص له بهذه المعجزة في

---

٢٨ - سورة آل عمران آية ٤٩.

٢٩ - سورة هود آية ٦٤.

٣٠ - الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، (ت٧٨٨هـ)، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، (ط٢)، دار المعرفة، بيروت. (د.ت)، ١٠٣/٢.

٣١ - كما يعبر عنها الإمام محمد أبو زهرة، انظر أبو زهرة، محمد، المعجزة الكبرى القرآن، (د.ط)، دار الفكر العربي، القاهرة (د.ت) ص٦.

٣٢ - انظر رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، مكتبة القاهرة، القاهرة،١٣٨٠هـ=١٩٦٠م. ص٦١.

نوعها بقوله : "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة" [٣٣].

المبحث الثاني

القرآن الكريم معجزة رسالة محمد صلى الله عليه وسلم

ومن المناسب التعريف بالقرآن الكريم الذي هو معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الرئيسة والتي تناسب نبوته الخاتمة ورسالته العالمية :

المطلب الأول : تعريف القرآن الكريم :

عرف المتكلمون والأصوليون والفقهاء وعلماء العربية القرآن بأنه : اللفظ المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس" [٣٤].
وهو تعريف وصفي يقصد به بيان أن القرآن هو الوحي على هيئة ألفاظ أو كلام مقروء ومكتوب في كتاب هو المصحف، وإفادة الغرض من هذا التعريف هو تمييز كلام الله عن كلام البشر؛ فهو وحي من الله، والإيحاء به على هيئة ألفاظ وكلام في المصحف من سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس ليميزه عن الوحي الآخر وهي السنة، إذ أنها لم يوح بها ألفاظاً محدودة، وإنما الموحى به من المعاني والألفاظ هو السنة القولية من كلام محمد صلى الله عليه وسلم. وأن هذا القرآن بما يحويه في مقاصده ومضمونه هو منهج هذه الرسالة العالمية التي اختتم الله بها النبوات والرسالات، نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ورسالته إلى الناس كافة، وهي الإسلام.

---

٣٣ - مسلم، صحيح مسلم، دار ابن حزم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وسلم الى جميع الناس، رقم (٢٣٩)، ١/١٢١.

٣٤ - الزرقاني، محمد عبد العظيم، (د.ط)، مناهل العرفان في علوم القرآن، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة (د.ت)، ١ /١٣.

كما عرفوه أيضاً بأنه : "الكلام المعجز، المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم، المكتوب في المصاحف، المنقول بالتواتر، المتعبد بتلاوته" [٣٥].

والملاحظ في هذا التعريف أنه لفت النظر بالإضافة إلى التعريف السابق، إلى كون هذا القرآن معجزةً لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم؛ إذ تميز بالإعجاز والتحدي، إضافة إلى كونه مُتعبداً بتلاوته، وإلى كونه منقولاً بالتواتر أي محفوظاً. وإذا كان الأمر كذلك فإن الله تعالى بعث محمداً خاتم النبيين، وكان القرآن معجزته المناسبة لعالمية بعثته، وكما أنه لا بد للرسالة العالمية من منهج عالمي يدوم معها، فإنها بحاجة أيضاً إلى دليل عالمي، أو معجزة عالمية خالدة تثبت صدقها، وتتحدى الناس جميعاً إلى يوم الدين. ولذا فإن هذه القضية من تعريف القرآن وهو كونه معجزة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الرئيسة، وهي التي يتحدى بها الإنس والجن.

ولا بد من بيان اختصاص هذه الرسالة العالمية بهذا النوع من المعجزة وعدم اعتماد المعجزات الحسية، معجزة رئيسة لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم كما كانت قد اعتمدت في الرسالات السابقة.

المطلب الثاني : وجه اختصاص نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن الكريم معجزة :

إن النبوة الخاتمة، والرسالة العالمية لا تناسبها المعجزة الحسية معجزة رئيسة لنبيها، وإن كان هذا لايمنع من أن تكون معجزات حسية لرسولها، ولكن تلك المعجزات الحسية ليست هي الرئيسة الممتدة زمنياً وعالمياً، بل تحتاج إلى دليل تصديق يتجاوز الأمة التي نزلت فيها الرسالة لأول مرة، والزمن الذي نزلت فيه، لتصل إلى الناس كافة في كل زمان ومكان، ويلزم كذلك أن تكون الخاتمة والمكملة، فلا تعاصرها رسالة، ولا

---

٣٥ - الزرقاني، المرجع السابق ١٢/١.

تتبعها نبوة، ولذلك فإن المعجزة التي تناسبها لا بد أن تكون معجزة تتوافر فيها مقومات الخطاب للناس كافة، ومقومات البرهان العالمي، ومقومات البقاء والخلود إلى قيام الساعة. ولم يجعل الله من المعجزات لأداء الغرض الاّ القرآن الكريم؛ فهو وحي الرسالة وكتابها، وهو منهج الرسالة ومعجزتها، وهو بطبيعته كلام منقول بالتواتر، محفوظ في الصدور، محفوظ مكتوب في السطور، فيه قابلية الدوام والخلود وأهلية الخطاب العالمي، ليكون دليلاً على هذه الرسالة العالمية، وبالتالي فهو بهذا الاعتبار معجزة، وهو أيضاً باعتبار آخر ضمانةُ عالمية، أي ضمانةُ برهان عالمي على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً ۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَـٰتِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[٣٦]، كما يستفاد دوام كونه معجزة دائمة بقراءته المتجددة على الناس المستفادة من الفعل المضارع الذي يفيد التجدد والاستمرار في قوله تعالى: ﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلاً ﴾ [٣٧].

وبهذا فإن كون القرآن كتاب الله أو كلامه المكتوب في المصاحف، المحفوظ بالتواتر، صدراً في صدور الحفظة، وسطراً في المصاحف، والمتعبد بتلاوته، المحدد بألفاظه وكلماته وحروفه من أول حرف الباء في بسملة سورة الفاتحة إلى حرف السين في آخر سورة الناس، هو المعجزة والبرهان الدال على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ورسالته للناس كافة في كل الأمصار والأقطار، والأزمان. وهو ميزة هذه الرسالة العالمية وهو في الوقت نفسه ضمانتها العالمية كمعجزة، كما هو ضمانتها العالمية منهجاً أو وحياً، فاجتمع في هذه الرسالة العالمية ضمانة منهجها وضمانة معجزتها، ووحد الله بين الضمانتين فجعل المعجزة هي الوحي (القرآن) والوحي هو المعجزة، ولم يحصل هذا في نبوة ولا رسالة سابقة، أي لقد كانت معجزات الرسالات السابقة مختلفة عن

---

٣٦ – سورة الأنعام آية ١١٥.

٣٧ – سورة الاسراء آية ١٠٦.

وحيها بسبب خصوصيتها، فكانت معجزاتها حسية خارج وحيها. واختلف الأمر في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بسبب عالميتها فلم يعتمد الله المعجزة الحسية معجزة رئيسة لتصديق نبيها واختصر الطريق على البشر، فوحد بين الوحي والمعجزة وجعلهما شيئاً واحداً هو القرآن الكريم، وجعل معجزتها وحيها،كما عبّر عن هذا المعنى ابن رشد (ت٥٩٥هـ) فوصف معجزات الرسالات السابقة بأنها برانية، ووصف معجزة محمد صلى الله عليه وسلم بأنها أهلية مناسبة، أي من داخل الوحي لا من خارجه فقال: "وبالجملة متى صح أن الرسل موجودون، وأن الأفعال الخارقة لا توجد إلا منهم، كان المعجز دليلاً على تصديق النبي، أعني المعجز البراني الذي يناسب الصفة التي سمي بها النبي نبياً" [٣٨]، وهو هنا يشير إلى المعجزات البرانية الحسية للأنبياء السابقين والرسالات السابقة، فهي شيء خارج الوحي، وليست منه بسبب خصوصيتها، ثم يكمل عباراته معبراً بالشرع عن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم العالمية، العامة الخالدة الخاتمة، فيقول : "لكن الشرع إذا تؤمل وجد أنه اعتمد المعجز الأهلي المناسب، لا المعجز البراني" [٣٩]، أي أن معجزة رسالة الإسلام كانت من طبيعة رسالتها فكانت وحياً.

ويعلل الماوردي (ت٤٥٠هـ) لهذه العلاقة بين كون القرآن الكريم معجزة الرسالة العالمية ليكون ضمانة العالمية، حيث جعله المعجزة الرئيسة لصدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فيقول : "والقرآن أول معجز دعا به محمد صلى الله عليه وسلم إلى نبوته، فصدع فيه برسالته، وخُصّ بإعجازه من جميع رسله، وإن كان كلاماً ملفوظاً، وقولاً محفوظاً لثلاثة أسباب صار بها من أخص إعجازه وأظهر آياته. والثالث : أن معجز القرآن أبقى في الأعصار، وأنشر في الأقطار، من معجز يختص بحاضره، ويندرس

---

٣٨ - ابن رشد، أبو الوليد محمد، (ت٥٩٥هـ) الكشف عن مناهج الأدلة، تحقيق مصطفى عمران، (د.ط) المطبعة المحمودية، القاهرة ١٣٨٨هـ=١٩٦٨م، ص١٣٤.

٣٩ - انظر المرجع السابق.

بانقراض عصره – يقصد المعجزة الحسية –. وما دام إعجازه – يقصد تحديه ودلالته وحجّيته على البشر كافة – فهو أحجّ، وبالاختصاص أحق" [٤٠].

ويقول السيوطي (ت٩١١هـ) معللاً لذلك : "انقرضت بانقراض أعمارهم، فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن مستمرة إلى يوم القيامة...فلا يمر عصر من أعصارهم إلا ويظهر شيء مما أخبر به أنه سيكون يدل على صحة دعواه، وقيل: المعنى أن المعجزات الواضحة الماضية كانت حسية تشاهد بالأبصار، كناقة صالح وعصا موسى، ومعجزة القرآن تشاهد بالبصيرة–نقصد أنها تعرف بالعقل – فيكون من يتبعه لأجلها، لأن الذي يشاهد بعين الرأس ينقرض بانقراض شاهده، والذي يشاهد بعين العقل باق يشاهده كل من جاء بعد الأول مستمراً" [٤١].

ويقول السيوطي أيضاً في وجه اختصاص الأمة بالقرآن، وعدّه معجزة عقلية: "اعلم أن المعجزة أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة، هي إما حسية وإما عقلية، وأكثر معجزات بني إسرائيل حسية، وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية" [٤٢]، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن المعجزات الحسية تنتهي بانتهاء حياة النبي، لأن إجراء المعجزة يُشترط أن يكون على يده؛ فبعد موت النبي لا تجري معجزته، بينما القرآن الكريم في نزوله على النبي صلى الله عليه وسلم كان هذا الشرط متحققاً، أي نزل عليه القرآن في حياته، ولكنه بصفته قولاً أو كلاماً لله أو قرآناً يُقرأ ويحفظ ويكتب ويُنقل أنزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم يمكن استمراره وبقاء جريانه معجزة، كل ما هناك فإنه لا يحتاج في خلوده إلى بقاء النبي حياً، فقد نزل واكتمل نزوله عليه في حياته، ولكنه يحتاج إلى أدوات خارج نزوله، من حفظ وقراءة وكتابة لبقائه خالداً، ولنشره

---

٤٠ – الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد، (٣٦٤–٤٥٠هـ)، أعلام النبوة، مراجعة طه عبد الرؤف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩١هـ=١٩٧١م، (د.ط)، ص٥٨.

٤١ – السيوطي، الحافظ جلال الدين عبد الرحمن، (ت٩١١هـ)، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل محمد إبراهيم، (د.ط) طبعة الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م، ٤ /٣.

٤٢ – المرجع السابق.

للناس عامة. وهو بخاتمية نبوة محمد صلى الله عليه وسلم – كان خاتماً للكتب السابقة مصدقاً لها ومهيمناً عليها. وكما طمأن الله عز وجل رسوله صلى الله عليه وسلم، وقد رآه منشغلاً جداً بتكرار قراءته تخوفاً من نسيانه، أو ضياع شيء منه، فأنزل عليه قوله: ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ [٤٣]، وقوله تعالى : ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۗ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا ﴾ [٤٤]، فقد تعهد سبحانه أن يحفظه ويبقيه ويديمه مدى الدهر كما نزل فقال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [٤٥].

وعللّ السيوطي لاختلاف طبيعة المعجزة في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم عن الرسالات السابقة بسبب كونها عالمية فقال : "لأن هذه الشريعة – بما هي محتواة في هذه المعجزة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة، خُصّت بالمعجزة الباقية ليراها ذوو البصائر" [٤٦].

وهذا كلام صحيح ومنطقي، يساير منطق العقل؛ ذلك أن الله تعالى لم يكتب للرسالات السابقة العالمية بما فيها من خصوص في الزمان والمكان والأقوام فهي لم تكن عامة للناس جميعاً، ولا خالدة أبد الدهر، ولا خاتمة للرسالات التي قبلها، بل كانت تلك النبوات والرسالات مفتوحة حتى جاءت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم الخاتمة فأكملتها وختمتها. وبالتالي كانت رسالة الإسلام هي النهائية الخاتمة، ولذلك كانت معجزة هذه الرسالة العامة الخاتمة الخالدة خاتمة وخالدة أيضاً، إذ لا مُجاور لها ولا معاصر لها، ولا معقب عليها؛ من نبوة أو رسالة. ومن ثم فقد اقتضى الأمر أن يختلف نوع معجزة هذه الرسالة عن نوع معجزات الرسالات السابقة التي كانت تقوم دليلاً

---

٤٣ – سورة القيامة آية ١٦-١٧.

٤٤ – سورة طه آية ١١٤.

٤٥ – سورة الحجر آية ٩.

٤٦ – المرجع السابق.

على صدق نبوات أنبيائها، وتقوم حجة على الشعوب الخاصة زماناً ومكاناً وأقواماً، لا تتجاوزهم بعموم ولا خلود، ولا تمنع نبوات قادمة.

المبحث الثالث

منطق الرسالة العالمية يرفض منطق الكفار في طلب المعجزات الحسية

إن منطق عالمية الرسالة في المعجزة الرئيسة، كما يوضحه القرآن يرفض باستمرار طلب المشركين للمعجزات الحسية والمادية، وغرائب الأشياء كمعجزة رئيسة، وزعمهم أنها إذا حصلت سيؤمنون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وذلك لأن الله يريد أن يعرض منطق الرسالة في الآيات والمعجزات الدالة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ولا يطاوع المشركين ليفرضوا منطقهم السقيم بطلب الغرائب الحسية، لأن هذه الرسالة ليست رسالة موجهه إليهم فحسب، وإنما هي رسالة عالمية لها منطقها العالمي في الخطاب، عموماً وخاتمية وخلوداً،ولها منطقها العالمي في الدليل على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وهو القرآن، ولا شيء غير القرآن، فهو وحي الرسالة، وهو آية الرسالة ومعجزتها الكبرى.

كان الكفار يريدون فرض منطقهم، وتغليب منطقهم على منطق الرسالة العالمية، ولذلك لم يُجابوا إلى طلبهم حيث طلبوا من الرسول صلى الله عليه وسلم غرائب حسية، وكان القرآن دائماً يردهم إلى القرآن وآياته، فهو المعجزة التي تتحداهم وهو منطقه الذي يخاطبهم به، ومن ذلك : قوله تعالى : ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[47]، وقوله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا۟ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِىَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ ﴾[48] ثم إن طلبهم للمعجزات الحسية المخالفة لطبيعة الرسالة العالمية وأهدافها ونوع معجزتها الكبرى لم يكونوا صادقين فيه، ولا باحثين بطلبها عن حق لأنهم كفروا رغم ظهور المعجزات الحسية على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم من مثل انشقاق القمر وقد رأوه بأعينهم ومع ذلك لم يؤمنوا؛ فكفرهم بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وإنكارهم لرسالته لم يكن عن نقص في كفاية دلالة المعجزة القرآنية؛ فقد تحداهم القرآن أن يأتوا بمثل القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ الإسراء : ٨٨، وأن يأتوا بعشر سور من مثله، قال تعالى :

---

٤٧ - سورة العنكبوت الآيات ٤٨-٥٤.

٤٨ - سورة الاسراء الآيات ٨٨-٩٦.

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِۦ مُفْتَرَيَٰتٍ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ هود : ١٣، وأن يأتوا بسورة من مثله قال تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ يونس : ٣٨، وقد كان ذلك كافياً لإفحامهم وبيان عجزهم، وكافياً في دلالة القرآن المعجز على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصدق عالمية رسالته. ولكن أساليبهم في طلب المعجزات الحسية كانت بسبب التواء تفكيرهم، ومن باب المناكفة والإعراض والصدود، والتعلل بأتفه الأسباب لموقفهم المسبق بالكفر بالتوحيد، والإنكار لنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، ومحاربة رسالته، وكان موقفهم مفلساً وعاجزاً.

وقد كان القرآن يتحداهم في أكثر ما يشتهرون به من نَظمٍ، وبلاغة، وفصاحة لسان، وبيان كلام، وبسائر ما يحمل من علوم وإخبارات وحقائق وسائر أوجه إعجاز. ولهذا كانوا لا يريدون أن يخضعوا لمنطق البرهان العقلي القرآني المعجز في خطابه الإنساني العالمي، والمتحدي للناس كافة بكل مذاهبهم وأديانهم وشعوبهم وأقوامهم ومستوياتهم أن يأتوا بمثله، ففروا إلى طلب المعجزات الحسية، مع أن تلك المعجزات الحسية كانت موجودة في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان لا يتحداهم بها، ولم يطلب منهم أن يأتوا بمثلها، رغم عجزهم حتى عن ذلك، فلماذا لم يؤمنوا بتلك المعجزات الحسية ودلالتها على صدق النبوة إن كانوا صادقين! ألم يصف لهم النبي صلى الله عليه وسلم بيت المقدس في رحلة الإسراء كما كانوا يعرفونه تماماً؟ فلماذا لم يؤمنوا بتلك المعجزة ولم يؤمنوا به إن كانوا يريدون منطق المعجزات الحسية مقنعاً لهم؟! إنهم لم يكونوا يريدون منطق الاستدلال على النبوة؛ لا بمعجزات حسية واقعة للنبي، ولا حتى بما كانوا يطلبونه. إنما كانوا يريدون مجرد الفرار من الحقائق الواضحة، والبراهين الساطعة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، بل إنهم كانوا إذا

تجالسوا فيما بينهم يصرحون بأنهم لم يجربوا على محمد صلى الله عليه وسلم كذباً، وأنه الصادق الأمين.

وقصة هرقل مع أبي سفيان وركبه شاهدة على ذلك. فقد روى البخاري بسنده عن عبد الله ابن عباس أن أبا سفيان بن حرب حين سأله هرقل عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فذكرت أن لا، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله" [٤٩].

وبهذا فقد صرح أبو سفيان أنه كان موقناً بأن الله سيظهر –مع كفره برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ومحاربته له – وأن الله سيظهر أمر الإسلام وينصر محمداً صلى الله عليه وسلم؛ فقد قال تعليقاً على قصته مع هرقل : "لقد أَمِر أَمْرُ ابن أبي كبشة، إنه يخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقناً أنه سيظهر حتى أدخل الله عليّ الإسلام" [٥٠]

وقد ذكر القرآن أنهم من أعماق نفوسهم يعرفون أن محمداً صلى الله عليه وسلم صادق، ولا يكذب عليهم، قال تعالى : ﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [٥١]، وأنهم من حيث نظرتهم إلى محمد صلى الله عليه وسلم في شخصه لا يساورهم شك في صدقه، ومن حيث نظرتهم إلى القرآن لا يساورهم شك في وضوح دلالته على صدق نبوته، كما قال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [٥٢]. ولكن اتهامهم له بالكذب تارة، وبالجنون تارة أخرى، وبالسحر تارة ثالثة هم كانوا يستسخفون أنفسهم في تفصيل هذه التهم، وكانوا يعرفون أنهم غير صادقين فيما يقولون،

---

٤٩ – انظر تفصيل الرواية في صحيح البخاري، بشرح فتح الباري، كتاب بدء الوحي، باب ٦ حديث رقم ٣٢/٧.

٥٠ – المرجع السابق ٣٣/١.

٥١ – سورة الأنعام آية ٣٣.

٥٢ – سورة النمل آية ١٤.

وأنه لا يصدقهم أحد عاقل فيما يتهمون به محمداً صلى الله عليه وسلم، وكل ذلك إنما كان من باب الاستكبار والإيذاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم. بل إنهم كانوا يتأثرون بالقرآن أشدّ التأثر حين يسمعونه، فقصة إسلام عمر دالة على ذلك. وكانوا يائسين من معارضته متيقنين أنهم لا قبل لهم بها، حتى كانوا يحرصون على استماع القرآن في الخفاء، ولما يكشف بعضهم بعضاً يتعاهدون على عدم العودة، ثم يعودون لما تعاهدوا على تركه، وكانوا يخافون من عاقبة أن تصغي إليه أفئدتهم فيتلاومون على ذلك حتى بلغ الأمر بهم التخوف على المشركين من سماع القرآن، كما سجل ذلك ربنا في كتابه بقوله : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴾[٥٣]، وكما ثبت في تفسير الآية[٥٤] أن أبا جهل بن هشام وأبا سفيان بن حرب والأخنس بن شريق كانوا يتواصون ألا يسمعوا لهذا القرآن، ولكنهم لم يكونوا يستطيعون مقاومة سماعه، "إذ كانوا يتسللون تحت جنح الظلام إلى حيث يستمعون إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وهو يقرأه في الكعبة، فإذا انصرفوا بعد القراءة تلاقوا في الطريق، فأخذوا يتلاومون ويتعاهدون ألا يعودوا، وذلك خوفاً من أن يقتدي بهم الملأ من قريش"[٥٥].

ويصور الرافعي هذا المعنى لديهم بقوله : "ولما كان مرجع تقدير الكلام في بلاغته وفصاحته إلى الإحساس وحده، وخاصة في أولئك العرب الذين من أين تأملتهم ورأيتهم كأنما خلقوا خلقاً لغوياً، وكان القرآن قد جمع في أسلوبه أرقى ما تحس به الفطرة اللغوية من أوضاع البيان ومذاهب النفس إليه؛ فقد أحسوا بعجزهم عما امتنع مما قبله، وكان كل امرئ منهم كأنما يحمل في قرارة نفسه برهان الإعجاز، وإن حمل كل

---

٥٣ – سورة فصلت آية ٢٦.

٥٤ – انظر تفسير الآية في ابن كثير، الإمام الحافظ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ت٧٧٤هـ تفسير القرآن العظيم، (ط١) دار الحديث، القاهرة، ١٤١٨هـ= ١٩٩٨، ٤٤٣/٤.

٥٥ – زرزور، علوم القرآن، (ط١)، المكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٢هـ=١٩٨١م، ص٢٢٢ وانظر الرافعي، مصطفى صادق، اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، (ط٣) دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت)، ص٢٧٠.

إفك وزور على طرف لسانه" [٥٦]. بل إنهم هم أنفسهم لم يكونوا يصدقون قول أنفسهم حتى فيما يشيعون بين حجيج المواسم في حربهم الدعائية والإعلامية لرسول الله صلى الله عليه وسلم : "وقد عقدوا مؤتمراً إعلامياً تفجرت فيه قريحتهم عن ضرورة توحيد الإعلام في حربهم الإعلامية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، بحيث لا تتباين اتهاماتهم للرسول، مما قد يؤثر على الرأي العام فلا يصدقونهم" [٥٧]، فقالوا للوليد بن المغيرة باعتباره زعيمهم وأرجحهم عقلاً وأكبرهم سناً : "فأنت يا أبا عبد شمس فقل، وأقم لنا رأياً نقول به. قال: فأنتم فقولوا أسمع. قالوا : نقول كاهن؟ قال والله ما هو بكاهن. لقد رأيت الكهان، فما هو بزمزمته ولا سجعه. -والزمزمة هي الكلام الخفي الذي لا يسمع- قالوا : فنقول مجنون. قال : ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه، ولا تخالجه ولا وسوسته. قالوا : فنقول شاعر. قال : ما هو بشاعر، لقد عرفنا الشعر كله، رجزه وهزجه، وقريضه، ومبسوطه، فما هو بالشعر. قالوا : فنقول ساحر. قال : ما هو بساحر، لقد رأيت السحار وسحرهم، فما هو بنفثهم ولا عقدهم. قالوا : فما تقول أنت يا أبا عبد شمس؟! قال : والله إن لقوله لحلاوة، وإن أصله لعذق، وإن فرعه لجناة، وما أنتم بقائلين من هذا شيئاً إلا عرف أنه باطل. وإن أقرب القول فيه لأن تقولوا : ساحر، جاء بقول هو سحر يفرق بين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته، فتفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم، لا يمر بهم أحد إلا حذّروه إياه وذكروا لهم أمره" [٥٨]، وفي هذه القصة نزلت آيات سورة المدثر [٥٩]. قال تعالى :

---

٥٦ - الرافعي، المرجع السابق، ص١٩١-١٩٢.

٥٧ - الكردي، راجح عبد الحميد، شعاع من السيرة النبوية في العهد المكي، (ط١)، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٦هـ=١٩٨٥م، ص٩٦.

٥٨ - ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام العافري، (ت٢١٣هـ)، السيرة النبوية وبهامشها الروض الأنف للسهيلي، طبعة الحاج عبد السلام شقرون (د.ط)، القاهرة ١٩٧٢م، ٢/١١-١٢.

﴿ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ۝١٨ فَقُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝١٩ ثُمَّ قُتِلَ كَيۡفَ قَدَّرَ ۝٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ۝٢١ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ۝٢٢ ثُمَّ أَدۡبَرَ وَٱسۡتَكۡبَرَ ۝٢٣ فَقَالَ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ يُؤۡثَرُ ۝٢٤ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ﴾[٦٠]

القرآن لا غير هو معجزة الرسالة العالمية :

وقد كانوا يطلبون أن يقول محمد صلى الله عليه وسلم شيئاً غير هذا القرآن، لأنهم يشعرون تماماً بإعجاز القرآن لهم، وتحديه لهم، وعجزهم عن الإتيان بمثله، فقد كانوا يفرون من مجيئه عليهم إلى منطق المراوغة. ولكن إذا تكلم محمد-جدلاً- كلاماً غير القرآن، فما فائدة ذلك الكلام إذن؟ ولماذا يتكلم شيئاً غير القرآن؟ فإن محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن صاحب شهوة للكلام، ولم يعرف عنه بأنه قام متكلماً وزاعماً بلاغة كلام، ولا فصاحته، شعراً ولا نثراً، وهم يعلمون هذا مما سجل القرآن هذه الحقيقة في قوله : ﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[٦١]، وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴾[٦٢]، ويذكر القرآن محاولتهم تلك بقوله تعالى : ﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ لِتَفۡتَرِيَ عَلَيۡنَا غَيۡرَهُۥۖ وَإِذٗا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلٗا ۝٧٣ وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا ۝٧٤ إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ﴾[٦٣].

---

٥٩ – انظر المرجع السابق، وانظر الزركشي، البرهان، ٢/١١٠-١١١ وانظر القصة في ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، تفسير سورة المدثر، ٤ /٤٤٣.

٦٠ – سورة المدثر الآيات ١٨-٢٥.

٦١ – سورة يونس آية ١٦.

٦٢ – سورة الشورى آية ٥٢.

٦٣ – سورة الإسراء الآيات ٧٣-٧٥.

وإذا تكلم محمد صلى الله عليه وسلم كلاماً فإنه حينئذ لا يطالبهم التصديق به من أجل نبوته؛ فهو نبي بكلام الله معجزةً له أولاً على أنه نبي، ومعجزةً له ثانياً لهم وللبشرية على أنه نبي، وهم بهذا كله ينفسون عليه نبوته ويريدون حسب منطق زعامتهم كما وصفهم القرآن بقوله ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[٦٤]، وينفسون على بني هاشم زعامتهم التاريخية والدينية، إذ كيف تكون فيهم النبوة من دونهم مما يعزز قيادتهم وزعامتهم للعرب؟! والنبوة أمر لا يستطيعون المنافسة فيه كسائر الأمور من منافستهم لبني هاشم كما ذكر ذلك ابن إسحق في السير إذ زعم أبو جهل ذلك فقال : "كنا فيه وبني هاشم كفرسي رهان أطعموا فأطعمنا، وسقوا فسقينا، حتى إذا تساوينا عند الركب قالوا منا نبي، والله لا نؤمن حتى يكون منا نبي" [٦٥].

ولماذا يطالبونه بكلام آخر لولا أنهم كانوا يعجزون عن الإتيان بمثله مما يؤكد أنه معجزة النبي؟! وما درى أولئك أن هذه الرسالة العالمية الخالدة الخاتمة هي للناس كافة وليس لهم وحدهم، فمعجزتها ليست كما يريدون هم ويقترحون، رغم كذب زعمهم أنهم سيؤمنون لو جاءت آية مادية كما يطلبون، أو أنهم سيؤمنون لو جاء محمد بكلام غير هذا القرآن؛ لأن الرسالة ليست لهم وحدهم، وإنما تتجاوزهم في عالميتها إلى كل إنسان على وجه الأرض إلى قيام الساعة؛ فعالميتها إذاً تتطلب معجزة غير المعجزة المادية التي يطالبون بها، بل تتطلب معجزةً دائمة بدوام الرسالة إلى قيام الساعة، ومعجزةً

---

٦٤ – سورة الزخرف آية ٣١-٣٢.

٦٥ – وقد شكك في صحته أكرم العمري في صحة أن أبا جهل اعترف بان هذه المنافسة هي السبب. انظر ابن اسحق، محمد (١٥١هـ) السير والمغازي تحقيق سهيل زكار، (د.ط) دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م،ص١٨٩-١٩٠ وقال عن الإسنادين للرواية : إنهما منقطعان، انظر العمري، أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة، (ط٥) مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٣هـ=١٩٩٣م، ١٦٣/١.

مناسبة لتحدي الناس جميعاً في كل زمان ومكان وبيئة وشعب. ومن ثم كانت حكمة الله سبحانه أن يقرب على البشر المخاطبين دليل الصدق للرسالة، وكان يصر عليهم أن الكتاب المبين هو المعجزة.

وبسبب هذه الحكمة الإلهية من عالمية الرسالة وعالمية معجزتها، أن كانت معجزتها الكبرى القرآن فحسب؛ إذ هو الضمانة الكبرى لعالميتها، عموماً وخاتمية وخلوداً، لأنه هو وحده الصالح للعالمية دليلاً على صدق الرسالة، إذ كما يقال : "كل معجزة قبله انقضت بانقضاء زمانها، ولم يبق إلا تذكارها، وهو- القرآن - كل يوم براهينه في مزيد، ومعجزاته - أي تحديه وإعجازه وكونه دليلاً على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم- في تجديد" [٦٦].

ويقول النبهاني في هذا المعنى : "فمعجزات الأنبياء انقرضت بانقراض أعمارهم، فلم يشاهدها إلا من حضرها، ومعجزة القرآن باقية إلى يوم القيامة" [٦٧]، ولهذا فكلما طلبوا معجزات مادية، جاءت الإحالة لهم من القرآن على القرآن نفسه لبيان أنه فيه الغَناء لهم عن كل آية حسية يطلبونها، من ذلك قوله تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[٦٨].

---

٦٦ - حكمي، حافظ بن أحمد، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، (د,ط) المطبعة السلفية، القاهرة، ٢/٥١٩.

٦٧ - النبهاني،يوسف بن اسماعيل، حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين، (د.ط) دار الفكر، بيروت، (د.ت)، ص٢٧٨.

٦٨ - سورة العنكبوت الآيات ٤٧-٥١.

كل ذلك مع أن الله تعالى قادر على أن يصنع لهم معجزات مادية كما يطلبون.

وقد أجرى على يد رسوله صلى الله عليه وسلم معجزات حسية، ولكنه لم يجعلها معجزات رئيسة لرسالته العالمية. لأن طلبها لهم كان مماحكة وتغريراً، وإذا صنعها الله لرسوله بناء على طلبهم خرجت عن هدفها، وهو التصديق، لأنهم سيكذبون بها كما يعلم الله من حالهم، وحينئذ فسيهلكهم الله تعالى كما أهلك من قبلهم من الأمم الذين طلبوها من أنبيائهم معجزات ثم كفروا بها قال تعالى : ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[69]، وقال تعالى : ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ ۖ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾[70].

وانقضاء الأمر هنا يعني إهلاكهم.وكما يروي ابن عباس رضي الله عنهما رواية تفيد هذا المعنى تماماً حيث قال : "قالت قريش للنبي صلى الله عليه وسلم : ادع لنا ربك أن يجعل لنا الصفا ذهباً ونؤمن بك. قال : وتفعلون؟ قالوا : نعم. قال : فدعا فأتاه جبريل فقال : إن ربك عز وجل يقرئك السلام، ويقول إن شئت أصبح لهم الصفا ذهباً، فمن كفر بعد ذلك عذبته عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين، وإن شئت فتحت لهم أبواب التوبة والرحمة، فقال : بل التوبة والرحمة. قال ابن عباس: فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ۚ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ۚ وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾" [71] [72].

---

٦٩ – سورة غافر آية ٢٢.

٧٠ – سورة الأنعام آية ٨.

٧١ – سورة الاسراء آية ٥٩.

٧٢ – الشيباني، أحمد بن حنبل، (ت٢٤٠هـ)، المسند، ٦مجلدات، طبعة المكتب الاسلامي، تحقيق أحمد محمد شاكر، بيروت.....٢٥٨/١ والحاكم : ابو عبد الله،المستدرك على الصحيحين، ٣٦٢/٢ وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي وقال ابن كثير فيما رواه عن أحمد : إن سنده جيد، وذكر في السيرة ٤٨٣/١ إسنادان له ثم قال : هذان إسنادان جيدان، وقال الهيثمي، ٥٠/٧ بعد ذكر روايتين للإمام أحمد : ورجال الروايتين رجال الصحيح إلا أنه وقع في أحد طرقه عمران بن الحكم، وهو وهم،وفي بعضها عمران أبو الحكم وهو ابن الحرث، وهو الصحيح، وابن جرير في التفسير ٥٨/١٥. وصححه أحمد شاكر في تعليقه على المسند برقم ٢٣٣٣. انظر هذا التتبع للحكم على الحديث، العلي، ابراهيم، صحيح السيرة النبوية، (ط١)، دار النفائس، الأردن، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م، هامش ص٦٥،٦٤.

المبحث الرابع

المعجزة وقضية الرُّشد البشري :

وليس صحيحاً ما يعلل به بعض أصحاب النوايا الطيبة من أجل الرد على المستشرقين، أن سبب كون القرآن معجزة محمد صلى الله عليه وسلم، وأن معجزات الأنبياء السابقين كانت حسية، وأن الله لم يجعل معجزة محمد صلى الله عليه وسلم الرئيسة حسية بل عقلية أو معنوية كما يعبرون عنها، أن ذلك بسبب أن البشرية فيما مضى قبل مبعث محمد صلى الله عليه وسلم كانت تعيش طفولتها البشرية، ولهذا فقد جعل الله معجزات أنبيائها ورسلها معجزات حسية مادية، لتناسب مستواها، حتى تكون أقرب في إقناعها لإنسان غير ناضج في عقله، غير راشد في بشريته، يتأثر فقط بالإعجاب أمام موضوع يراه ويشاهده مادياً، ولكن مبهم الأسرار، وسحري التأثير، بينما جعل الله معجزة محمد صلى الله عليه وسلم عقلية، لأن البشرية نضجت، واكتمل رشدها، فناسب أن يجعل معجزة رسولها عقلية تناسب جميع العقول في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة، كتاباً يحتوي على حقائق العالم، والخلقة، والتعاليم في مختلف شؤون الحياة بما يناسب الإنسان الناضج في عقله وتفكيره، وأن إنسان الصحراء- في عهد رسالة محمد صلى الله عليه وسلم- يبحث دائماً عن المعجزة، وعالمه مليء بالأرواح والأسرار العجيبة !![٧٣]

إن هذا التعليل ليس عقلياً ولا منطقياً، وليس على مستوى الواقع، بل إن العقل والواقع يرفضه لأن الله تعالى جعل آدم نبياً وهو أول مخلوق، ووصفه بأنه خلقه في أحسن تقويم قال تعالى : ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾[٧٤]. والإنسان مُعرّف بأل التعريف مستغرق لكل إنسان خلقه الله، فهل آدم عليه السلام، ومن بعثهم الله

---

٧٣ - انظر مطهري، مرتضى، الوحي والنبوة، ترجمة عباس الترجمان، دار المحجة البيضاء، بيروت، ١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م، (د.ت.ط) ص٤٦-٤٨. وانظر، ما رجع اليه المؤلفان من كتاب، فلسفة تاريخ از نظر قرآن، لحبيب الله بايدار، ص١٥-١٦.

٧٤ - سورة التين آية ٤.

من أنبيائه ورسله، وهم ذوو الكمالات الإنسانية الفائقة، كانت فيهم طفولة بشرية هم وأقوامهم، ولم يكونوا قد وصلوا إلى النضج العقلي والرشد؟! وهل الدين الذي أنزله الله إليهم– وقوامه أركان الإيمان، ومفهوم العبادة لله، والقيم الإنسانية التي بعث بها أنبيائه ورسله– لم يكن على مستوى النضج، وكان على مستوى الطفولة البشرية فقط ؟! ونحن نعلم أن الدين وهو الإسلام بالمفهوم العام هو دين جميع الأنبياء والرسل، كما أن العقيدة واحدة في الأديان كلها، فهي معرفة الله وتوحيده، وإيمان بملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره من الله عز وجل، وإن اختلفت الشرائع؛ لأنها كلها تقوم كلها على عبادة الله وحده لا شريك له بما فيها أمر ونهي، بغض النظر عن تفاصيل تلك الشرائع واختلافاتها بحسب اختلاف أزمنة النبوات الخاصة واختلاف حاجات الأقوام والشعوب المتباينة، قال تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ﴾[٧٥].

فهل هذه العقيدة والعبادة وتلك الشرائع كانت تناسب مستوى الطفولة البشرية فقط، ولم تكن على مستوى نضج البشرية ورشدها؟! ثم أين تلك العقيدة والإيمان والعبادة التي كانت تناسب الطفولة البشرية ثم جاء الإيمان الذي يناسب النضج البشري والرشد الإنساني؟!

وقد أحسن السيوطي في تعليل كون المعجزة العقلية هي الأنسب للرسالة الخاتمة، إذ قال : "ولأن هذه الشريعة لمّا كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية، ليراها ذوو البصائر" [٧٦]، واستدل لهذا التعليل بالحديث الصحيح : "ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثر تابعاً يوم القيامة" [٧٧].

٧٥ – سورة الشورى آية ١٣.

٧٦ – المرجع السابق ٤/ ٣.

٧٧ – سبق تخريجه هامش رقم ١٧.

ثم أليس مما هو مجمع عليه واقعياً أن محمداً صلى الله عليه وسلم كانت له معجزات أو خوارق للعادات حسية ومادية. منها ما ذكره القرآن، وهو متواتر مثل معجزة انشقاق القمر، حيث قال تعالى : ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴾[٧٨]، وقد رأى المشركون ذلك بأم أعينهم ولم يؤمنوا، وقد ثبت ذلك واقعياً حيث ثبت عن ابن مسعود: "أن أهل مكة سألوا الرسول صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقين حتى رأوا حراء بينهما" [٧٩]، كما شاهد ذلك عبد الله بن مسعود حيث قال : "انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم بمنى فقال : اشهدوا وذهبت فرقة نحو الجبل"[٨٠].

وثمة سورة في القرآن تحمل اسم معجزة الإسراء، وأولها قوله تعالى : ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾[٨١]

ثم ما ورد في [٨٢] سورة النجم إشارة إلى معجزة المعراج في قوله تعالى : ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ

---

٧٨ - سورة القمر آية ١.

٧٩ - انظر البخاري، محمد بن إسماعيل، (ت٢٤٠هـ) صحيح البخاري، شرح فتح الباري، تحقيق عبد العزيز بن باز، المطبعة السلفية، القاهرة، ١٣٨٦هـ، (د.ط)، كتاب مناقب الانصار٣٦ باب انشقاق القمر، رقم الحديث ٣٨٦٨، وانظر كتاب التفسير، باب وانشق القمر رقم ٤٨٦٤، ٦١٧/٨.

٨٠ - المرجع السابق.

٨١ - سورة الاسراء آية ١.

٨٢ - انظر تفاصيل قصة الإسراء والمعراج في البخاري : صحيح البخاري، شرح فتح الباري، كتاب مناقب الأنصار، باب المعراج، رقم ٣٨٨٧، ٢٠١/٧-٢٠٢، مسلم، صحيح مسلم، بشرح النووي، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، (د.ط.ت)، كتاب الايمان، باب ذكر سدرة المنتهى ١/٣، ٢١٨/٢، وانظر المزيد من المعجزات الحسية لرسول الله صلى الله عليه وسلم في البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، (٣٨٤-٤٥٨هـ)، دلائل النبوة، تحقيق عبد المعطي قلعجي، (ط١)، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م، ٧مجلدات وانظر القاري، نور الدين، شرح الشفا، للقاضي عياض، تحقيق حسنين محمد مخلوف، (د.ط)، مطبعة المدني، القاهرة، ٣/ ٤٥٦.

إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ
﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ مَا
كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ
سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾[٨٣].

وقد جلّى الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس ووصفه لهم كما يعرفونه ومع ذلك كذبوه، قال عليه الصلاة والسلام : "لما كذبتني قريش قمت في الحجر، فجلّى الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا انظر إليه" [٨٤]. وقد أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقافلتهم التجارية التي رآها في طريق عودتها، وأن فيها جملاً أورق، وأنها ستقدم يوم كذا، وكل ما قاله عليه الصلاة والسلام تحقق.

ولقد أفاضت كتب السنة والسير وكتب الدلائل في ذكر معجزات حسية حصلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم، منها حنين الجذع، وخروج الماء من بين أصابعه حتى توضأ منه ناس كثير، وتكثير الطعام ، وتكليم الذراع المسمومة إياه، وشهادة الشجرة بأنه نبي حين دعاه، وشهادة الذئب، والضب والرضيع بنبوته، وشاة أم معبد وغير ذلك كثير.ومع ذلك لم يؤمنوا بالمعجزات الحسية دليلاً على صدق نبوته.

فتلك المعجزات كانت مادية حسية، ومع ذلك لم يصدقوها، فكيف تفسر هذه المعجزات بطبيعتها الحسية مع زمن الرشد البشري عند مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وبعده، إذا كانت المعجزات الحسية تناسب البشرية في مرحلة الطفولة البشرية فقط، ولا تناسبها في زمن بلوغها النضج العقلي والرشد؟! ومع ذلك فهي معجزات حسية للرسول محمد صلى الله عليه وسلم وفي زمن الرشد البشري كما يزعمون، ولكنها ليست المعجزة الرئيسية لنبوته عليه الصلاة والسلام، إذ لا تصلح بطبيعتها الحسية

---

٨٣ - سورة النجم الآيات ١-١٥.

٨٤ - البخاري، صحيح البخاري، بشرح فتح الباري، كتاب مناقب الأنصار، باب حديث الاسراء رقم ٣٨٨٦ ١٩٦/٧، وصحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الايمان، باب الإسراء، ٢٢٧/٢.

الموقوتة بزمنها ومكانها ومشاهديها والمشترط في إجرائها على يد النبي في حياته أن تكون برهاناً عاماً وعالمياً يرافق دعوى الرسالة العالمية ويُتحدى بها، ويقيم الحجة على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لجميع الناس والى قيام الساعة. وهذا لا يمنع من أن بعض الناس قد آمن من طريق هذه المعجزات الحسية، أو ائتنس بها، أو كانت لها أهداف أخرى مساندة، ومسلية ومطمئنة للرسول صلى الله عليه وسلم، ومؤنسة لأصحابه وللمؤمنين، تزيد من إيمانهم ويقينهم. ولكن الله تعالى لم يعتمدها الآية الكبرى، والمعجزة الرئيسة ولم يتحد بها الإنس والجن أن يأتوا بمثلها، فبحسب منطق الرشد البشري المزعوم! لا يمكن فهم إجراء هذه المعجزات الحسية لرسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ أنها تناسب الطفولة البشرية فكيف يجريها الله في عهد الرشد البشري؟!

ثم إن القول بالطفولة البشرية والنضج البشري دعوى لا دليل لأصحابها عليها من دليل عقلي أو تاريخي، وتبقى كلمة إنشائية ووهمية يستغلها من يعرفون بالحداثيين من أجل القول بأن القرآن الكريم كان يناسب مرحلة بشرية من مراحل التطور وكان يناسب بيئة، ويعالج قضايا ظرفية في زمان يناسبها فقط، وهو كلام لا يخرج إلا عن الهوى والحقد على الإسلام.

الخاتمة

تتلخص أهمية نتائج هذا البحث وتوصياته بما يأتي :

١ – المعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على يد مدعي النبوة، وهي ضرورة عقلية لتصديقه، إذ ما من نبي إلا وأيده الله بمعجزة تصدقه.

٢ – ثمة علاقة واضحة بين طبيعة الرسالة ونوع المعجزة.

٣ – معجزات الأنبياء السابقين لمحمد صلى الله عليه وسلم كانت معجزات حسية تبعاً لطبيعة رسالاتهم الخاصة بأقوالهم وفي أزمان محدودة.

٤ – نبوة محمد صلى الله عليه وسلم خاتمة، ورسالته عالمية للناس كافة وخالدة؛ وتبعاً لطبيعتها هذه فإن القرآن الكريم هو المعجزة الخالدة لهذه الرسالة الخاتمة لما كفل الله تعالى له من صلاحية العالمية والخلود والانتقال والدوام.

٥ – المعجزات الحسية لا تصلح أن تكون المعجزات الرئيسة لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم العالمية؛ ولهذا كله فقد رفض الله تعالى طلب المشركين المعجزات الحسية دليلاً على صدق نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأن منطق النبوة الخاتمة والرسالة الخالدة لا تناسبه المعجزة الحسية.

٦ – لقد أجرى الله تعالى على يد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم معجزات حسية للتسلية له وللتطمين، ولكن لم يجعلها معجزت التحدي الرئيسة لنبوته، ومع ذلك لم يصدق المشركون نبوته عليه الصلاة والسلام بتلك المعجزات الحسية.

٧ – لا علاقة بين نوع المعجزة حسية أو عقلية بما يزعم بعض الباحثين بما يعبرون عنه بقضية الرشد البشري لتفسير اختلاف نوع المعجزة بين الرسالات السابقة ورسالة محمد

صلى الله عليه وسلم، ولكن التفسير المقبول والمنطقي أن نوع المعجزة حسية أو عقلية تحدده طبيعة الرسالة خاصة أو عالمية.

٨ – يوصي الباحث بمزيد من الدراسات العقدية في التركيز على القرآن الكريم معجزة وإعجازاً، والتركيز على دراسات عالمية رسالة محمد صلى الله عليه وسلم.

المصادر والمراجع

- الآمدي، سيف الدين، (٥٥١-٦٣٦هـ)، غاية المرام في علم الكلام، تحقيق حسن محمود عبد اللطيف (د.ط)، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٩١هـ=١٩٧١.
- الإيجي، عضد الملة والدين عبد الرحمن بن أحمد، المواقف، شرح السيد الجرجاني، (د.ط)، طبعة القسطنطينية، تركيا، ١٤٨٦هـ.
- البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح-صحيح البخاري، الجزء الأول والثالث، (د.ط)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ت).
- البخاري، الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح-صحيح البخاري، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت).
- البخاري، صحيح البخاري، بشرح فتح الباري، تحقيق عبد العزيز بن باز، الجزء الأول والجزء السابع، والجزء الثامن، (د.ط) المطبعة السلفية، القاهرة ١٣٨٦هـ.
- البغدادي، أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي، (ت٤٢٩هـ)، كتاب أصول الدين، (ط١)، طبعة مدرسة الإلهيات بدار الفنون التركية، استانبول، ١٣٤٦هـ=١٩٢٨م.
- البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين، دلائل النبوة، (٣٨٤-٤٥٨) تحقيق عبد المعطي قلعجي الجزء الثالث، (ط١) دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ=١٩٨٥م.
- الجويني، إمام الحرمين، أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن

محمد، (٤١٩-٤٧٨هـ) لمع الأدلة في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة، تحقيق فوقية حسين محمود، (ط١)، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٦٥م.

- الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم، (د.ط)، طبعة الخانجي، القاهرة، ١٩٦٩م.
- حكمي، حافظ بن أحمد، معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد، الجزء الثاني، (د,ط) المطبعة السلفية، القاهرة، (د.ت).
- ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، (د.ط)، طبعة عبد السلام شقرون، القاهرة، (د.ت).
- الرافعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، (ط٣)، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت).
- ابن رشد، أبو الوليد محمد، (ت٥٩٥هـ)، الكشف عن مناهج الأدلة، تحقيق مصطفى عمران، (د.ط)، المطبعة المحمودية، القاهرة ١٣٨٨هـ=١٩٦٨م.
- رضا، محمد رشيد، الوحي المحمدي، (ط٦)، مكتبة القاهرة، القاهرة ١٣٨٠هـ=١٩٦٠م.
- زرزور، عدنان، علوم القرآن، (ط١)، المكتب الاسلامي بيروت ١٤٠٢هـ=١٩٨١م.
- الزرقاني، محمد عبد العظيم، مناهل العرفان في علوم القرآن، الجزء الأول، (د.ط)، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة (د.ت).
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، الجزء الثاني، (ط٢) دار المعرفة، بيروت. (د.ت).
- ابن اسحق، محمد، السير والمغازي، تحقيق سهيل زكار، (د.ط)، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ=١٩٧٨م.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، الإتقان في علوم القرآن، تحقيق أبو الفضل محمد إبراهيم، الجزء الرابع، (د.ط) طبعة الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥م.
- الشهرستاني، أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر، نهاية الإقدام في علم الكلام، (د.ط)، نسخة مصورة عن طبعة سابقة حررها الفرد جيوم، القاهرة، (د.ت).
- الشيباني أحمد بن حنبل بن الحسن، (ت٢٤٠هـ)، المسند، ٦مجلدات، طبعة المكتب الاسلامي، تحقيق أحمد محمد شاكر، الجزء الأول، بيروت، (د.ت).
- الشيباني، الإمام أحمد بن حنبل، مسند احمد، نسخة الفتح الرباني، بترتيب مسند الأمام أحمد مع مختصر شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، لأحمد عبد الرحمن البنا، الجزء الأول والجزء الثاني والعشرون، (د.ط)، دار الشهاب، القاهرة، (د.ت.)
- عبد الجبار بن أحمد، المغني في أبواب التوحيد والعدل، التنبؤات والمعجزات، تحقيق محمود الخضيري ومحمود قاسم، الجزء الخامس عشر، (د.ط المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، ١٣٨٥هـ=١٩٦٥م.
- ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية، (ط٦)، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ.
- العلي، ابراهيم، صحيح السيرة النبوية، (ط١)، دار النفائس، الأردن، ١٤١٥هـ=١٩٩٥م.
- العمري، أكرم ضياء، السيرة النبوية الصحيحة، الجزء الأول (ط٥)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤١٣هـ=١٩٩٣م.

- القاري، نور الدين، شرح الشفا، للقاضي عياض، تحقيق حسنين محمد مخلوف، (د.ط)، مطبعة المدني، القاهرة، (د.ت).
- ابن كثير، الإمام الحافظ عماد الدين ابو الفداء اسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، ت٧٧٤هـ تفسير القرآن العظيم، الجزء الرابع، (ط١) دار الحديث، القاهرة، ١٤١٨هـ.
- الكردي، راجح عبد الحميد، شعاع من السيرة النبوية في العهد المكي، الجزء الثالث، الجزء الثالث، (ط١)، دار الفرقان، عمان، ١٤٠٦هـ=١٩٨٥م.
- الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد، (٣٦٤-٤٥٠هـ)، أعلام النبوة، مراجعة طه عبد الرؤف سعد، (د.ط)، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، ١٣٩١هـ=١٩٧١م.
- مسلم، الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، (٢٠٦-٢٦١هـ) صحيح مسلم، الجزء الأول والثاني والثالث والرابع، (د.ط)، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٦هـ=١٩٩٥م.
- مسلم، صحيح مسلم بشرح النووي، (د.ط)، مطبعة النهضة المصرية، (د.ت).
- انظر مطهري، مرتضى، الوحي والنبوة، ترجمة عباس الترجمان (د.ط)، دار المحجة البيضاء، بيروت،١٤٢٠هـ=٢٠٠٠م.
- المكلاتي، لباب العقول، دار الأنصار، (ط١)، القاهرة، ١٩٧٧م.
- النبهاني، يوسف بن اسماعيل، حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين، (د.ط) دار الفكر، بيروت، (د.ت).
- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري، (ت٢١٣هـ)، السيرة النبوية وبهامشها الروض الأنف للسهيلي، الجزء الثاني، (د.ط)، طبعة الحاج عبد السلام شقرون، القاهرة، ١٩٧٢م.